مؤسّسة دبي للمستقبل
DUBAI FUTURE FOUNDATION

اتجاهات المستقبل

بالتعاون مع

دبي للثقافة
Culture

القطاع الثقافي والإبداعي

الملخص

يسهم قطاع الثقافة والفنون في الناتج المحلي الإجمالي العالمي بإيرادات سنوية تصل إلى 2.2 مليار دولار، أي بنحو 3% من الإجمالي، ويعمل في هذا القطاع نحو 30 مليون شخص، أي 1 في المئة من العاملين في العالم.

وفق التقديرات الأولية لمديرية يوروستات التابعة للمفوضية الأوروبية، فإن جائحة كورونا المستجد (كوفيد-19) قد تؤثر على نحو 7.3 مليون وظيفة في قطاع الثقافة والفنون في الاتحاد الأوروبي.

أتاحت جائحة كورونا المستجد (كوفيد-19) أمام القطاع فرصة للتقدم نحو التحول الرقمي في مختلف جوانبه.

الوضع الراهن

شهد قطاع الثقافة والفنون –القائم على «تقاطع الفنون والثقافة والتجارة والتقنية[1] » وفق تعبير الأمم المتحدة– نموّاً منتظماً في العقود الأخيرة، إذ أدركت الحكومات قيمته الكامنة في تنويع الاقتصادات ودعم الازدهار والنمو وتحقيق الرفاهية والرخاء.[2]

[1] UNCTAD, Creative Economy Report 2008, iii.
[2] UNCTAD, Creative Economy Outlook 2018, 3.

وشهد السوق العالمي لمنتجات القطاع نمـوّاً سنويّاً بلغ معدّله

7.34%
معدل النمو

$509 بليون
عائدات تصدير عالمية

بين العامين 2002-2015

يسهم قطاع الثقافة والفنون مساهمة مهمة في الناتج المحلي الإجمالي العالمي؛ وحين أجرى «الاتحاد الدولي لجمعيات المؤلفين والملحنين» لأول مرة دراسة عنهما في العام 2015، وجد أن إيراداتهما السنوية تبلغ 2,250 مليار دولار، أي 3 في المئة، ما يفوق حجم قطاع الاتصالات، أو الناتج المحلي الإجمالي للهند . وقدرت الدراسة ذاتها أن القطاع يشغل عمالة تصل إلى نحو 29.5 مليون شخص ، أوٍ 1 في المِئة من سكان العالم.[5] وشهد السوق العالمي لمنتجات القطاع نموّاً سنويّاً بلغ معدّله 7.34 في المئة بين العامين 2002 و2015، بعائدات تصدير عالمية بلغت 509 مليار دولار أمريكي وفق أرقام مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية.[6] وما زالت أوروبا رائدة إقليميًا في قطاع الثقافة والفنون بين الاقتصادات المتقدمة، وهو يوفر 12 مليون وظيفة، ويبلغ معدل النمو السنوي لمنتجاته الإبداعية 5.5 في المئة (حتى العام 2018) ، ما يبرز أهمية دوره في الاقتصاد الأوروبي. لكن بعدما أصبحت الصين أكبر مُصدِّر ومستورد للخدمات والمنتجات الإبداعية، تفوقت آسيا على جميع الأقاليم الأخرى في تجارة القطاع، بعائدات تصدير بلغت 228 مليار دولار في العام 2015 .

[3] EY, 2015 Cultural Times: The first global map of cultural and creative industries, 8.
[4] For comparison, the total number of employees in the automotive industries in Japan, the US and Europe stands at 25 million according to EY.
[5] CISAC and UNESCO, Cultural times, 2015, 15.
[6] UNCTAD, Creative Economy Outlook 2018, 20.
[7] UNCTAD, Creative Economy Outlook 2018, 9.
[8] UNCTAD, Creative Economy Outlook 2018, 9.

وفي إفريقيا والشرق الأوسط تبلغ قيمة الاقتصاد الإبداعي المزدهر –من العمارة والتصميم إلى الألعاب والفنون المرئية– 58 مليار دولار سنويّاً، ويشكل العاملون فيه 8 في المئة من موظفي القطاع على مستوى العالم[9]. وشهد الشرق الأوسط تحولاً اقتصاديّاً مهمًا –وإن كان متجزئاً– نحو أنشطة القطاع، تحوُّلاً مدفوعاً بما وصفه تقرير «آفاق التصميم في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» بأنه «توسع مديني سريع وتوجه نشط نحو تبني المنصات الرقمية من القطاعات الشبابية[10]» في أغلب أنحاء المنطقة. ولِدولة الإمارات دور رئيس في اقتصاد المنطقة الإبداعي، بعدما اكتسبت سمعة كمركز للابتكار عبر الاستثمار في مبادرات ومشاريع ثقافية وإبداعية مختلفة، ومنها: متحف لوفر أبو ظبي، وحي دبي للتصميم، وبينالي الشارقة، ومهرجان طيران الإمارات السنوي للآداب، ومركز آرت جميل للفنون، والسركال آفنيو، وأسبوع دبي للتصميم، ومعرض آرت دبي[11]. وإضافة إلى هذا، استثمرت حكومة دبي كثيراً في دعم قطاع الثقافة والفنون وتمكينه، بتوفير منصات للمواهب وإنتاجاتهم.

وكرّست الإمارات منظومة بيئيّة للشركات الناشئة، حتى بلغت 60 في المئة من حجم الاستثمارات الإقليمية في تلك الشركات. [12]

وأدى دعمها لشركات القطاع إلى ظهور تجمُّعات إبداعية مثل مدينة دبي للإعلام، وإطلاق «صندوق التنمية الثقافية» الإماراتي الذي يدعم الإنتاجات والأنشطة الثقافية . ولم تترد طاقات ريادة الأعمال التقليدية في دعم موجة التحوُّل المعاصرة إلى هذا القطاع.

9 CISAC and UNESCO, Cultural times, 2015, 16.
10 Dubai Design & Fashion Council, MENA Design Outlook, 2015, 20.
11 The UAE exhibition industry is, by far, the largest in the Middle East representing 31% of total indoor exhibition space according to the UFI, the Global Association of the Exhibition Industry.
12 Magnitt, 2019 MENA Venture Investment Summary, 2019.
13 The National, "Fund to advance cultural development."

ومع كل هذا، كان قطاع الثقافة والفنون من أشد القطاعات تأثُّراً بجائحة كوفيد-19، فالحظر العالمي أثر في المبدعين والمستهلكين معاً، وهدد بنيتهما كثيرًا، إذ زعزعت الأزمة «سلسلة القيمة الإبداعية كلها، من ابتكاروإنتاج وتوزيع وتوفر [14] » وفق تعبير الأمم المتحدة، فاضطر القطاع إلى اتخاذ تدابير حازمة لضمان بقائه وتأقلُمه مع الخسارة المفاجئة في الأرباح والاستثمارات وفرص العمل.[15]

وبينت التقديرات الأولية لمديرية اليوروستات أن أزمة كوفيد-١٩ قد تؤثر في نحو 7.3 مليون وظيفة في القطاع في أوروبا وحدها ؛[16] وأن أكثر من 30 في المئة من المتأثرين يعملون بصورة مستقلة ويفتقرون إلى الحماية الاجتماعية اللازمة.[17]

وعلى الصعيد العالمي اضطرت الجائحة قطاع الثقافة والفنون إلى إعادة النظر في نماذج الأعمال كلها، وأثرت سلبيّاً في شركات القطاع الصغيرة والمتوسطة، وجعلت كثيرون يواجهون احتمال الإفلاس؛ وستكون تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية متفشيةً في العالم كله. وصحيح أنه قطاع ديناميكي يمتاز بمرونة عالية نسبيّاً [18]، إلا أن الأزمة تستنزفه، وستحتاج المجالات المتصلة به إلى دعم سلاسلها الإمدادية ومنظوماتهما ككل.

تحاول الحكومات على مستوى العالم تخفيف الاضطراب المالي عن القطاع، بتطبيق إجراءات إغاثة قصيرة الأمد، وتقديم حوافز سياسات إبداعية و تطوير أو تعديل بعض السياسات التي تخص القطاع، وتقدم أحياناً مساعدات مالية مباشرة. ووجهت غالبية الدعم المالي الطارئ لرفد وحماية المؤسسات الثقافية العامة مثل المتاحف، والمكتبات والمسارح، لكن القطاع في الوقت ذاته متجزِّئ بطبعه، ويعتمد بشكل كبير على الشركات الصغيرة والمتوسطة والأفراد المستقلين، ويواجه الكثير من تلك الشركات وأولئك العاملون حالياً خسائر طويلة الأمد في الأجور، ستستمر إلى ما بعد الحظر، لمحدودية وصول كثير منهم إلى الائتمان المصرفي وشبكات الأمان الاجتماعية.

14 UNESCO, “COVID19 Response.”
15 OECD, “Coronavirus (COVID-19).”
16 EU Science Hub.
17 Culture Action Europe, “The Future of Culture and Creative sectors in post Covid-19 Europe”
18 UNTCAD, Creative Economy Report, 2010, xx.

وبسبب إدراك بعض الحكومات لذلك التبايُن، اتخذت خطوات لدعم تلك الفئات المهدَّدة، وهنا بعض الأمثلة:

أنشأ مجلس الفنون في إنجلترا صندوق مساعدات طوارئ بقيمة 160 مليون جنيه إسترليني، لدعم الفنانين والمنظمات الفنية؛ وخُصص ذوو الأعمال المستقلة بعشرين مليوناً منها.[19]

أطلقت وزارة الثقافة والشباب في الإمارات «البرنامج الوطني للإغاثة الإبداعية» الذي يقدم الدعم للمبدعين العاملين بقطاع الصناعات الثقافية والإبداعية، ويستهدف تقديم منح مالية للأفراد المستقلين والشركات الناشئة تصل الى 4.6 مليون درهم. [20]

طبّق مجلس هونج كونج لتنمية الفنون «خطة دعم لقطاع الفنون والثقافة،» بقيمة 50 مليون دولار من مكتب الشؤون الداخلية للمساعدة في تخفيف العبء المالي عن قطاع الفنون خلال أزمة فيروس كورونا المستجد. [21]

خصصت الحكومة الأسترالية حزمة دعم بقيمة 250 مليون دولار أسترالي لدعم القطاع.[22]

عيّنت الحكومة المكسيكية 1.3 مليون دولار لدعم الفنانين والمشتغلين بالمهن الثقافية.[23]

وخصصت وزارة جنوب إفريقيا للرياضة والفنون والثقافة صندوق إعانة بقيمة 8.3 مليون دولار، لدعم الفنانين والرياضيين والفنيين.[24]

وخصصت إيطاليا 130 مليون يورو في حزمة طوارئ لدعم المشتغلين بالفنون والثقافة.[25]

وخصصت مليون يورو لدعم الفنانين المستقلين والمنظمات في قطاع الثقافة، من خلال مؤسسات مثل مجلس الفنون السويدي ولجنة مِنح الفنون.[26]

19 Arts Council England, “Emergency Response Funds.”
20 UAE Ministry of Culture and Knowledge Development, “National Creative Relief Programme.”
21 “Support Scheme for Arts & Cultural Sector”, Hong Kong Arts Development Council, 2020
22 “$250 million JobMaker plan to restart Australia's creative economy”, Prime Minister of Australia, 2020
23 “Mexico's COVID-19 response for artists and local creators”, UNESCO, 2020
24 “Relief fund for South African artists, athletes and technical personnel”, UNESCO, 2020
25 EU National Institutes for Culture, “How is the European cultural sector responding to the current corona crisis?”
26 EU National Institutes for Culture.

وهذه التدخُّلات ضرورية ومفيدة على المدى القصير، لكن الحكومات لن تستطيع مواصلة تقديمها على المدى الطويل، وسيحتاج قطاع الثقافة والفنون إلى التأقلم مع استمرار الأزمة بوصفه «الوضع الطبيعي الجديد» الذي يحدد الأنشطة اليومية الحالية ويقيّدها. وسيعتمد بقاء كثيرين في هذا القطاع –والقطاع كله عموماً– على مستوى المرونة والقدرة على التأقلم والصمود من خلال الجهود الاستراتيجية التي تعتمد على التقنيات المبتكَرة، وتعيد صياغة النماذج المهنية الحالية، وتفتح مجالاً لفُرص جديدة.

جدير بالذكر أيضاً أنه في مثل هذه الأزمة لا تستطيع الحكومات السعي بمفردها، وبالفعل شهدنا في بلاد عديدة نشوء شراكات وخطط تعاون بين الحكومات والقطاع الخاص ومؤسسات ومنظمات غير حكومية،

لتخفيف الوطأة عن قطاع الثقافة والفنون؛ ففي المملكة العربية السعودية، مثلاً، أطلقت عدة متاحف ومؤسسات ثقافية –منها مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي ومؤسسة محمد بن سلمان بن عبد العزيز الخيرية– برامج لدعم القطاع خلال هذه الأزمة، وأطلق معرض أثر بالتعاون مع عدة فنانين مبادرة «إصدارات معاً»، وهي صندوق للبحث والإنتاج، لإتاحة إصدارات فنية محدودة من إبداع فنانين معروفين وناشئين، لدعم زملائهم الفنانين.[27]

وعقدت مبادرة «فن جميل» جلسات بحثية شملت فريقها كله خلال شهر مارس الماضي، فحفزت استجابة سريعة فعالة مدروسة مخصصة لدولة الإمارات والسعودية والمنطقة عموماً؛ واستشارت مؤسسات دولية شريكة في تحديد استجابتها، منها متحف فكتوريا وألبرت ومتحف المتروبوليتان ومؤسسة دلفينا. واستُطلعت آراء فنانين محليين وأمناء متاحف ومشاركين في برامج مختلفة في الإمارات والسعودية ومصر، لمعرفة وجهات نظرهم، وفهم احتياجاتهم الملحّة على نحو أفضل.[28] ومن جهة أخرى تعاونت «دبى للثقافة» مع برنامج «منصة فن جميل للبحث والممارسات الفنية»، لدعم المواهب والمبدعين في جميع أنحاء دولة الإمارات من خلال تقديم منح صغيرة تمكنهم من استكمال أعمالهم أو مشاريعهم ودعمهم خلال هذه الأوقات الصعبة.

27 “Maan Artists Grants”, Athr Gallery, 2020
28 Art Jameel, Interview, 2020

الفرصـة

يقوم هذا القطاع على الجمع بين الأفراد والمنتجات الإبداعية والمساحات الثقافية، ولذا كان لسياسات التباعد الاجتماعي التي فُرضت في مارس تأثير سلبيّ، إذ أدت إلى إغلاق المتاحف والمعارض، وإلغاء الفعاليات الثقافية، وتوقف السفر الدولي. لكن الجانب الإيجابي أن القطاع تأقلم مع الأزمة بسرعة وتبنى أساليب مبتكرة لتجنب تداعياتها؛ فمتاحف ومعارض كثيرة، مثلاً، حوّلت خدماتها إلى خدمات عبر الإنترنت، متيحة للناس جولات افتراضية.

ومتحف اللوفر مثلاً بدأ يتيح زيارات افتراضية له أثناء الحظر؛ وشهدت إيطاليا في الحظر اتحاد مغنين في استعراضات من الشُّرفات، تضماناً وتعزيزاً للروح المعنوية الجماعية [29]؛ وفي بروكسل أطلقت مؤسسة الجليلة الفنية برامج تعليمية للأطفال المحصورين في منازلهم من جراء الحظر، فتعلموا عمل كمامات من مواد يتسنى الحصول عليها بسهولة في حياتنا اليومية؛ وفي أمستردام تعاون طلاب الموضة على توظيف مهاراتهم في صنع كمامات للمستشفيات المحلية ونزلاء الملاجئ الذين لا مأوى لهم.[30] وأتاحت الجائحة للقطاع فرصة المضي قدماً إلى زيادة الرقمنة، فاسكتلندا عيّنت 55,000 يورو لصندوق المرونة الرقمية، لتمكين المتاحف من شراء المعدات اللازمة لإنشاء بنى تحتية رقمية تضمن الوصول الرقمي لتشكيلاتها وعمل طواقمها من المنزل، ولدعم البنى التحتية الرقمية حتى بعد الجائحة الحالية.[31]

وتأقلم الفنانون والمعارض والمؤسسات على الصعيد الإقليمي والعالمي مع العمل والتفاعل الرقمي، فكثيرٍ ممن ينتجون مواد سمعية وبصرية أتاحوا محتوياتهم عبر الإنترنت مجاناً، ليستطيع الجمهور الوصول إليها بسهولة، وأثبتت برامج الحوارات الحية التي أطلقتها مؤسسات عديدة –منها حوارات «ثقافة للجميع» في أبو ظبي، وحملة «صمود الفن» التي أطلقها مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي في السعودية– أن بوسع الفن والثقافة الامتداد إلى العالم الرقمي. وأفادت مبادرة «فن جميل» أن العديد من المنظمات وأمناء المعارض المستقلين والفنانين صاروا يُصْدرون بودكاستات وأفلام قصيرة وغير هذا من المحتويات الرقمية على مواقعهم وقنواتهم وحساباتهم الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، وأن بعضهم تعاونوا مع المبادرة وشاركوا في برامج «مهرجان الجداف» التفاعلية عبر الإنترنت.

29 Vanessa Thorpe, “Balcony singing in solidarity spreads across Italy during lockdown,”
30 Johanna Suo Kouzmine Karavaïeff, “The Role & Value of Culture and Creative Industries During and Post theCovid 19 Pandemic,”
31 The Scottish Government, Case Study: Scotland’s Coronavirus (COVID-19): Culture and Creative Sector Support

وفي دبي، أطلقت «دبي للثقافة» جولات إرشادية افتراضية للطلاب عبر جميع متاحفها للحفاظ على تفاعل الجمهور مع تراث دبي الغني وتاريخها العريق. دعمت هذه المبادرة مناهج التعليم الإلكتروني خلال فترة الحجر الصحي، واستقطبت مشاركة أكثر من 11300 طالب من 94 مدرسة حكومية وخاصة من جميع أنحاء دولة الإمارات العربية المتحدة. وأجرت الهيئة عدة ورش عمل ومناقشات مع الأطراف الفاعلة في القطاع الإبداعي، تم على أساسها إطلاق سلسلة من المبادرات لدعم القطاع الثقافي والإبداعي. تشمل هذه المبادرات شراكتها مع «لينكد إن» للتعليم الإلكتروني لتوفير دورات تعليمية إلكترونية مجانية في المجالات الإبداعية؛ إضافةً إلى مبادرة «لنبدع معاً» المجتمعية الرامية إلى تشجيع المواهب لمواصلة إنتاجاتهم الإبداعية، ونشر السعادة والإيجابية والإلهام بين أفراد المجتمع.

وكانت استجابة مجال الفعاليات سريعة أيضاً، فمجموعة آرت دبي سرعان ما تأقلمت مع الأزمة وصارت رائدة في العالم الرقمي، ففي مارس:

01 أنتجت «ساعة إخبارية» كانت أول مؤتمر فني عالمي متعدد التخصصات يدور أمام الجماهير (11,000 مُشاهد) مباشرة على الإنترنت عن آثار كوفيد19-،

02 أقامت منتدى ضم حوالي 100 من الشركات الصغيرة والمتوسطة والفنانين المستقلين في دبي للوقوف على التحديات التي تواجههم في ظل الأزمة.

03 أنتجت معرضاً رقمياً حققت من خلاله مبيعات تجاوزت 10 ملايين درهم إماراتي.

04 أطلقت بالتعاون مع الخريجين العالمي مبادرة دعت فيها الجامعات تقديم حلول للقضايا المرتبطة بوباء "كوفيد-١٩"، واستقبلت 400 مشاركة من 10 جامعات في 40 دولة حول العالم. [32]

[32] Global Grad Show, COVID-19 initiative: Finding solutions to collateral issues of the pandemic 2020

وآثرت مبادرة فن جميل أن تركز جهودها الرقمية في: :

إعداد مواد تعليمية مبتكرة ثنائية اللغة وتوزيعها، لتعمق فهم الفنون ومعرفتها،

استخدام الشبكات الرقمية للوصول إلى الفنانين وأمناء المعارض والمبدعين ودعمهم، لضمان بقاء الحالة الإبداعية كما هي وصمودها أمام الأزمة،

دعم المجتمعات المحلية، ولا سيما في دولة الإمارات والسعودية، من خلال برامج تبرز المواهب المحلية وتشجع المجتمع على «دعم الجهود المحلية.»

«المعارض المنظمة في الواقع والتي تستهدف حضور شخصي وجمهور فعلي ينبغي أن تكون على رأس تلك التجربة؛ ونحن منذ إعادة افتتاح مركز فن جميل في 3 يونيو شهدنا من الروّاد حماسة للرجوع إلى المتاحف ومشاهد الفن على أرض الواقع.» – فن جميل [33]

[33] Art Jameel, Interview, 2020

يكمن التحدي الحالي في دعم المبادرات التي تخفف الآثار السلبية للجائحة على المدى القصير، وتساعد على إيجاد فرص جديدة على المدى المتوسط للجهات الخاصة والعامة وغير الربحية الفاعلة في الإنتاج الإبداعي والثقافي. لكن أي إجراء يُتخذ لا بد أن يكون شاملاً، فلا يترك الأفراد المعرَّضين للتهديد الأكبر، من العمال الموسميين وذوي الأعمال المستقلة وما شابه، لأن هذا سيؤدي إلى أضرار بالغة وعواقب اقتصادية واجتماعية شديدة الوطاة. ويلزم إعداد نماذج مهنية مستدامة لفترة الأزمة وما بعدها، ويجب تشجيعها على كل الأصعدة، لضمان صمود القطاع الثقافي والإبداعي.

المستقبَل

في أبريل 2020 أطلقت هيئة الثقافة والفنون في دبي ومجموعة آرت دبي ماراثون دبي للأفكار (Ideathon) اجتمع فيه أكثر من 100 مبدع محترف من حول العالم في وِرش عمل لمدة يومين، وكانت النتائج كالآتي:

توصيات قصيرة المدى
(خلال تفشي كوفيد-19)

يَسَع الدعم المالي الحكومي أن يكون في صورة: إعفاء من الإيجار، أو دعم فواتير المرافق، أو إعفاء من رسوم الترخيص، أو مِنح، أو إعفاءات من الرسوم الجمركية ورسوم القيمة المضافة.

توصيات قصيرة المدى إلى طويلة المدى
(بعد انتهاء تفشي كوفيد-19)

بالوسع خلق طلبات للقطاع بمبادرات تشجع الحكومة والقطاع الخاص على خدماته، وعلى الحكومات تحفيز الأعمال الخيرية والتأثيرات الاجتماعية للاستثمار في القطاع، للعائدات المالية والاجتماعية؛ وينبغي تقوية التجمعات الثقافية وتشارُك الموارد، مثل ورش العمل والمعدات والمعارض والمساحات المكتبية، وينبغي أيضاً تحفيز الطلب الكامن للسلع والخدمات الثقافية بين مختلف المجموعات الديمغرافية.

المستقبَل

ويتسنى جذب المواهب وتشجيعها على البقاء بتحفيز تشكُّل المجتمعات، لزيادة التعاون وجذب مبدعين أكثر؛ ولا بد من حماية المحتوى والمصالح الاقتصادية لضمان أعلى معايير الملكية الفكرية. وبإمكان الحكومة أن تدرس إنشاء بنى تحتية لتأشيرات قصيرة الأجل (ستة أشهر) ومتوسطة الأجل (عامان)، للتعرف على المواهب وشرعنتها، وخلق فرص لرعاية الشركات الناشئة والتمهيدية (Pre-startups)، في صورة حاضنات ومسرِّعات؛ ومما قد يساعد أيضاً: تقليل تكلفة تأسيس الأعمال للشركات التي لم يَمض عليها عامان، وحجم أعمالها أقل من 367,000 درهم.